من تراثنا الحديث

اصول اسباب الرقي الحقيقي (1917)

أحمد بن محمد الصبيحي

في اطار نشرنا لنصوص من التراث المغربي الحديث ، والكشف عن جوانب دالة او غامضة من تاريخنا الادبي والفكري القريب ، نقدم هذا النص الذي يكاد يكون مجهولا الا من طرف قليل من المهتمين ، ورغم كل ما يمكن ان يؤاخذ به هذا النص ، لا نجد مسوغا معقولا يبرر اهماله الى هذا العد ، وتركه دون نقاش او درس ، وعدم اعادة نشره منذ اكثر من ستين سنة .

حقا ان البورجوازية ، بكل فصائلها ، قد قصرت في القيام بمهامها الثقافية ، واكتفت بصياغة تاريخها بكيفية تلائم اهدافها الدعائية والمصلحية . والا فما هو العائق الذي حال دون العمل على نشر الاعمال الكاملة لاقطاب الحركة الوطنية (علال الفاسي ، محمد بن الحسن الوزاني ، الخ ...) مثلا ؟ ولم يهتم اولئك الذين ينازعونها الواجهة الثقافية باكثر من الرد والسجال الفارغ والتقليص . وهكذا ، وفي جو من التواطؤ الجماعي على اقبار التاريخ الفعلي ، والتنكيل به ومسخه ، تحققت مقاصد ومشاريع الايديولوجية الاستعمارية والاقطاعية في الميدان ، ويبقى الامل معلقا على الجهود التي يبذلها الدارسون الشبان والجادون والذين ادوا ضريبة هذه القطيعة .

ان رسالة احمد بن محمد الصبيحي ، تلقي الضوء الساطع على نوعية تفكير احد الرواد الاوائل الذين اشاعوا الافكار والبرامج « التحديثية » والاصلاحية ، والتي ستستند عليها وتنميها الحركة الوطنية منذ مستهل الثلاثينات . وهي من ناحية اخرى تغير التصور المألوف عن الفترة التي انتجتها ، والتي تمتد من نهاية احتلال المدن الكبرى وحل السهول حتى انتقال المواجهة بعيدا الى تادلة والاطلس وانداع الثورة في الشمال . وغالبا ما تعتبر هذه الفترة « غامضة » او « عادية » في نظر التاريخ الانتقائي القائم على القفزات الانقطاعية لا على الاستمرار . ولكنها ، في الواقع ، مرحلة الفكرة الوطنية ، فضلا على انها فترة انتشار التيار السلفي على يد ابي شعيب الدكالي في الرباط ومحمد بن العربي العلوي في فاس وتلامذتهما في المدينتين على الخصوص .

ان المصادر المنشورة (الادب العربي في المغرب الاقصى لمحمد بن عباس القباج ، و « من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا » ـ ج 2 ـ لعبد الله الجراري) لا تسعفنا بشيء في اهمية عن شخصية المؤلف، وتبدو المصادر الشفوية ـ التي اتصلنا بها ـ ضنينة ، واخرى فقيرة الى حد ما . وهكذا تنضاف شخصية اخرى الى سلسلة الشخصيات « المجهولة » او « الغامضة » والتي لعبت ادوارا مهمة من نهاية القرن التاسع عشر حتى عشرينات هذا القرن . لا بد من العمل فالموت يتهدد اخر من عرفهم او عاصرهم.

ولد احمد بن محمد الصبيحي بسلا سنة 1300 هـ. يتم اباه صغيرا ، فرعاه الحاج الطيب الصبيحي ، وبعد دراسة تقليدية مكثفة بسلا ارسله مع ابنه محمد الى القرويين حوالي سنة 1902 . تخرج على يد كبار العلماء في تلك الفترة مثل « مفخرة القرويين » احمد بن الخياط ومحمد كنون ومحمد

القادري ، وانتقن القراءات حتى عد من ابرز القراء . تولى الحسبة في بسلا 1914 ـ 1918 ثم نظارة الاحباس بفاسي ، وعمل في الوزارة ثم عين رئيسا لاحباس الحرمين بمكناس . وعاد من جديد الى سلا كناظر للاحباس . حج في الرابعة والثلاثين من عمره . وزار الجزائر وتونس ومصر والحجاز وفلسطين والشام وفرنسا وبلجيكا والاندلس وربما زار طيلية . وحوالي سنة 1934 عاد الى مصر لاكمال بحثه في اللهجات العامية .

ومن الراجح انه كان يمثل الذهنية المستنيرة والمتحررة التي تعتمد العقل وتحكيم التجربة والتي امتاز بها اقرباؤه ، وخير مثال على ذلك مواقف الحاج محمد الصبيحي في نقاشاته مع بعض فقهاء فاس (والحاج محمد هذا هو الذي حاول الاصلاح بين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني بعد انقسام الكتلة) . فهل كان ذلك استمرارا لتيار « جماعة لسان المغرب » ؟ وهنا لا بد من الاشارة الى تاثير شخصية متنورة كانت على علاقة متينة بالعائلة الصبيحية : انه علي زنيبر الذي كان تاجرا في فاس ، ثم استقر في مصر مدة ابان حكم عبد العزيز ، اطلع اثناءها على فكر النهضة ومظاهرها ، وكان شديد الاهتمام بما يجري حوله ، مدمنا لقراءة الصحف والمجلات والكتب المشرقية ، سواء في فاس او مصر او في طنجة حيث تتبع نشاط القنصليات والسفارات الاجنبية بها ، وكان يعبر عن همومه في مراسلاته مع الحاج الطيب الصبيحي . وهو الذي وضع الدستور الاول الموجود بخطه في المكتبة الصبيحية ببسلا . وعلي زنيبر هذا هو الذي نصح عبد الحفيظ ـ عند ما عزم على امضاء عقد الحماية بان يستعيض عن الفرنسيين بالانجليز

وهكذا يبدو لنا ان المؤلف استمرار لتيار فكري معين وقناة تربط بينه وبين المرحلة التي ستبدأ في نهاية العشرينات .

ان مؤلفات احمد بن محمد الصبيحي تنشذ عن اطار وروح الدراسة التقليدية التي تلقاها . فتجده يؤلف عن اللهجات العامية ، وامثال العجائز ببسلا ، ويدرس عادات اهل المغرب ، وفي التاريخ يهتم بمنطقة اسفي وعبدة « باكورة الزبدة في تاريخ اسفي وعبدة » وهو امر له دلالة عميقة اذا ما قورن بالاهتمامات العلمية التي ركز عليها جيله ، وبالجو المعرفي الطاغي في تلك الفترة .

ان تاليف الرسائل الداعية الى اصلاح وتطوير المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ـ او كلا على حدة ـ تقليد عريق منذ ابن المقفع في « رسالة الصحابة » مرورا بالماوردي ، حتى مداخلات الفقهاء المغاربة في نهاية القرن الفارط واجوبتهم ، مثل (المغيلي) ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهما ، الا ان المثير للتامل هو ان يعمد الصبيحي الى التاكيد على ان رسالته « رؤيا » مباشرة بعد العنوان . ونحن نعرف ان « الرؤيا الصالحة » درجة من درجات النبوة اي انها الهام علوي يصير فيه الانسان وسيطا ، وعلى البشر تقبل هذا الالهام . وهذه ذريعة كافية لصد هجومات المتزمتين والمناوئين لدعوته . والصيغة الرؤيوية نجدها شائعة ، في نفس الفترة ، لدى المفكرين المصلحين في الاقطار العربية التي كان القمع والاضطهاد فيها على اشده كالعراق مثلا .

هذه مجرد اشارات لا تغني بأي حال من الاحوال عن الدراسة الجادة المتانية لهذه الرسالة ، وما شابهها من المؤلفات ، فالبحث العلمي وحده هو الكفيل باضاءة الجوانب الغامضة من تاريخنا وسد الهوة الحاصلة بيننا وبينه.

محمد البكري

أصول أسباب الرقي الحقيقي

وهي رسالة الى أهل المغرب الاقصى ، في نصيحتهم بالاخذ بالاسباب الصحيحة للوصول الى بحبوحة المجد الشامخ والشرف الاقصى . مبنية على رؤيا رآها المؤلف الفقير الى رحمة ربه أحمد بن محمد الصبيحي لطف الله به .

رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا (1)

باسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين . أما بعد فيقول أحمد بن محمد الصبيحي السلاوي لطف الله به والمسلمين آمين :

رأيتني في المنام ليلة يوم من الايام وهي ليلة يوم الاربعاء المبارك التاسع عشر من جمادى الثانية عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة والف وأنا مشتغل بتحرير رسالة الى اخواني أهل المغرب الاقصى اشرح لهم فيها :

أصول أسباب الرقي الحقيقي

التي ان تمسكوا بها اوصلتهم الى بحبوحة المجد الشامخ والشرف الاقصى مبوبا لهابابا بابا ، ومبينا لها سببا سببا ، مبتدئا بباب الدين ، فباب العلم فغيره ، فغيره . مستحضرا في ذلك المنام من المقالات والدلالات ما لا يحضر اليقظ في فكره .

فاصبحت من لذة ذلك الحلم الجميل في نشاط وارتياح عازما ان اصدق في اليقظة ما رايته في عالم الارواح جاعلا العمل في ذلك من جملة اعمال الاحتساب حيث كان له اليها انتساب اي انتساب .

فلم أشعر في صبيحة ذلك اليوم نفسه ، وأنا بالمحكمة والاشغال لدي متراكمة ، الا وانا أسود في ذلك رقا قائلا لعل ربي أراد ان يجعلها حقا .

وحيث كان الوقت كما أشرنا اليه معمورا . والنهي عن التكلف (1) ثابتا في السنة مذكورا ، فقد أردت ان ارسل القلم في نصيحة اخواني بلا تكلف غير ناقل من الانقال الا ما دعا اليه التوفق . **فاقول** وعلى الله المأمول :

الـديـــن

لا أريد أن اتكلم على دين الاسلام من حيث حقانيته على غيره ، وانه الدين الذي ارتضاه الله لعباده ، فذلك ما قد بسط الائمة أدلته في كتب التوحيد

ولكن أريد أن أتكلم عليه من حيث ملاءمته التامة لقواعد الرقي الحقيقي وأصول المدنية الصحيحة فأقول :

ليهنأ أهل المغرب الاقصى أنهم على دين اعترف عظماء الفلاسفة من غير أهله فضلا عن أهله بأنه الدين الوحيد الملائم لاصول المدنية الصحيحة والجامع لقواعد الانسانية والخصال المليحة ، والقابل بصلاحية أصوله للانطباق على مشارب أهل كل جيل ممتازا بذلك كتابه القرآن على غيره من الكتب كالتوراة والانجيل .

قال **الدكتور شبلي الشميل** على شدة ريبه في الاديان :

« ان في القرآن أصولا اجتماعية عامة ، وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان حتى في أمر النساء فانه كلفهن بأن يكن (2) محجوبات من الريب والفواحش ، وأوجب على الرجل ان يتزوج زوجة واحدة (3) عند عدم امكان العدل ؛ وان القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة، ولترقية الروح والجسد بعد أن أوصد غيره من الاديان تلك الابواب ، فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلي عن هذا العالم الفاني . »

وقال **المسيو هانوتو** وزير خارجية فرنسا سابقا واحد فلاسفتها المشهورين في مقالته عن (الاسلام والمسلمين) لما تكلم على رسوخ قدم الاسلام في المستعمرات الفرنساوية :

« ليس الاسلام بيننا فقط، بل هو خارج عنا أيضا. قريب منا في مراكش تلك البلاد الخفية الاسرار التي يشبه وجودها الحاضر مقدور الابد في الغموض والاشتباه قريب منا في طرابلس الغرب التي تتم بها المواصلات الاخيرة بين مركز الاسلام في البحر الابيض المتوسط وبين الطوائف الاسلامية في باطن القارة الافريقية ، قريب منا في مصر حيث تصادمه الدولة البريطانية مصادمتها اياه في الاقطار الهندية . وهو موجود وشائع في آسيا حيث لا يزال قائما في بيت المقدس وناشرا أعلامه على مهد الانسانية . ويحسب انصاره وأشياعه في قارات الارض القديمة بالملايين ، وقد انبعثت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيها انتشارا هائلا حتى ذهب البعض الى القول بأن العشرين مليونا مسلما الموجودين في الصين لا يلبثون ان يصيروا مائة مليون فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء لساكيا مونى .

وليس هذا بالامر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشرا في الآفاق .

فهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمرا ، وأفواجا ، وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى التدين به كل ميل الى اعتناق أي دين سواه .

ففي البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد افرضوا على ابدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد للعارية أجسامهم من كل شعار فواعد الحياة ومبادي، السلوك في هذه الدنيا . كما أن أمثالهم في القارات الآسيوية يبشرون بين الشعوب الصفر الالوان قواعد الدين الاسلامي .

ثم هو، اي هذا الدين، قائم الدعائم، ثابت الاركان في اوروبا عينها : في الاستانة العلية حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذي يحكم منه على البحار الشرقية ، ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين .

في باحات قصر يلدز ترى العلماء والدراويش وقد تدثروا بثياب الصوف وتعمموا بالعمائم الكبيرة جالسين على الارائك بجانب سفراء الدول . هم هناك يمثلون في الخاطر أشخاص الف ليلة وليلة، لا يتحركون من مقاعدهم، ينبسون بكلمات تطابق تحريك أيديهم حبات السبح منتظرين مجيء دورهم في المقابلات لفرض طلب او توجيه لوم .

وكل المسلمين، من مقيم في الاستانة أو في مراكش، في أرجاء آسيا او أصقاع افريقية من بدو كانوا أو حضر واقفين في اماكنهم او سارين مع القوافل يركعون مع الراكعين اذا أزفت الصلاة يتوضئون أو يتيممون بالتراب مولين وجوههم شطر الكعبة .

وسواء منهم الذين يلبسون الثياب الواسعة أو يتزينون بالستـرة الاسلامبولية ، والذين يلبسون الطربوش أو العمائم على رؤوسهم، والذين يضعون السيوف واليقطان في نطاقهم ، أو يتلقون العلوم في مدرسة برليـن الجامعة أو يدرسون علوم السياسة في باريس ، فانهم يممون وجوههم شطر مكان واحد : هي الارض المقدسة، هي الارض التي تكنفها الصحراء، هي الارض التي عاش فيها محمد ، هي الارض التي تتضمن جسمه المبارك في قبـر لا يجسر احد للوصول اليه الا وهو مغطى الرأس حياء وهيبة ، هي الارض التي جاء منها الآباء ويعود اليها الابناء بحركات مستمرة، هي الحج الابدي لبيت الله الحرام ، وجميع المسلمين عن بكرة أبيهم يرنون بطرفهم الى هذا المكـان المقدس ، ويمدون اليه أعناقهم ولا يجدون لذة في الحياة الا بأمل العودة اليه، ومن مات منهم ولم يكن أدى فريضة الحج مات على أسف وحسرة .

وخلاصة القول ان جميع المسلمين على سطح المعمورة تجمعهم رابطة واحدة بها يدبرون أعمالهم ، ويوجهون افكارهم الى الوجهة التي يبتغونها .

وهذه الرابطة تشبه السبب المتين الذي تتصل به اشيـاء تتحـرك بحركته ، وتسكن بسكونه ، بل هي القطب الذي تنتهي اليه قوة المغناطيسية.

ومتى اقتربوا من الكعبة ، من البيت الحرام من بئر زمزم الذي ينبع

منه الماء المقدس من الحجر الاسود المحاط باطار من فضة ، من الركن الذي يقولون انه سرة العالم وحققوا بانفسهم أمنيتهم العزيزة التي استحثتهم على مبارحة بلادهم في أقصى مدى من العالم للفوز بجواز الخالق في بيته الحرام ، اشتعلت جذوة الحمية الدينية في أفئدتهم فتهافتوا على أداء الصلاة صفوفا ، وتقدمهم الامام مستفتحا العبادة بقوله : باسم الله ... فيعم السكون والسكوت وينشران اجنحتهما على عشرات الالوف من المصلين في تلك الصفوف ، ويملأ الخشوع قلوبهم ثم يقولون بصوت واحد : الله اكبر ، ثم تعنو جباههم بعد ذلك قائلين : الله اكبر، بصوت خاشع بمثل معنى العبادة ، انتهى منها ونقلته بطوله لنفاسته . .

وقال المسيو **اسحاق طيار** الانجليزي وهو قس شهير ورئيس في كنيسة :

« ان الاسلام يمتد في افريقيا ومعه تسير الفضائل حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره والشجاعة والاقدام من أنصاره » وقال جورجي أفندي زيدان الاختصاصي بين المسيحيين في اللغة العربية :

« ان مظاهر المسلمين هي التي تحتمل النقد وهي التي يحسن ان يؤاخذ بجرائرها ، اما القرآن نفسه فليس فيه ما يؤاخذ عليه ، ولا يوجد بين آياته تناقض حقيقي . »

وقال **فولتير** الشهير في مقالته التي عنوانها « القرآن » الواردة في كتابه « القاموس الفلسفي » :

« لقد نسبنا الى القرآن كثيرا من السخافات وهو في الحقيقة خلو منها ، ولكن كهنتنا كتبوا كتبا كثيرة في ذم الاتراك ، واتفق ان كان الاتراك مسلمين ، فاصيب الاسلام على حساب غيره . »

وما أحسن ما كتب به بعض فضلاء الجزائر الى بعض اخوانه بتونس تحت عنوان : « **الاسلام هو الاشتراكية الصحيحة** » حسبما نشرته جريدة (المؤيد) المصرية في عددها الصادر بتاريخ 6 ذي القعدة عام 1326 ـ وهو قوله بعد الديباجة :

« وبما أن مبداكم النزوع الى الاشتراكية طبعا فلا يحزنك قولي هذا وتظنه انتقادا مرا كلا ، وكثير من المسلمين الشرقيين المتنورين مثلكم ومنهم اعاظم ، ومنهم دون ذلك ، وكلهم يرون ما ترون فانتم أحرار في أحساساتكم الشريفة واعتقاداتكم المحترمة ، الا انه لما كان ديننا القويم الاسلام هو الاشتراكية الصحيحة ، احببت ان اكتب لكم شيئا قليلا من ذلك بالايجاز فتدبروه جيدا فاقول :

« ان الاسلام قد جاء بالاشتراكية منذ ثلاثة عشر قرنا، كما جاء بتحريم

الخمر ، وجواز الطلاق الذين أخذت أوروبا اليوم تقنن لهما القوانين ، ويستحسنون تحريم الخمر وتحليل الطلاق ولكن طريق الاسلام في الاشتراكية على خلاف طريق اشتراكية أوربا اليوم .

وطريق هؤلاء صعب جدا يكاد يكون محالا . ولقائل ان يقول انهم جاءوا البيت من غير بابه ، أو هم أرادوا ان يعلو الشجرة من أعلاها حتى صاروا وقوفا حيارى ولبثوا مدة مديدة وهم يحاولون الحصول على مرادهم فلم يمكنهم .

وذلك من حيث أن عملهم غير تدريجي اذ جاءوا مهاجمين يطلبون ذوى الاملاك والاموال المقاسمة كانهم اخوة، والمال شقيق النفس، وكان مبدأهم صعبا جدا كتكليف ما لا يطاق .

نعم لان المقاسمة في النفس من أصعب ما يكون وهي من درجات الكمال النهائي الذي لا درجة بعده . وطهارة كاملة لا محالة ، وزكاة للنفس لا زكاة اعظم منها ، وأخوة لا أخوة اكثر منها .

ولكن يلزم لتلك الطهارة، التي هي تحلية ، ان تتقدمها أمور كثيرة تعد تخلية .

وهذا معنى قولنا ارادوا أن يعلوا الشجرة من اعلاها لا من اسفلها فصادفوا صخرة عظيمة في مسلكهم الضيق .

اما الاسلام فانه قد أتى البيت من بابه على وجه التخلية والتحلية ، وطلب على سنة التدريج شيئا فشيئا. وقد حكى عن بعض الادباء أنه طلب في مكافاته من أحد خلفاء بني العباس كلبا فازدرته أعين الحاضرين وظنوه سفيها او مجنونا ولم يكن كذلك . وانما قصد التدريج حتى خرج من مجلس الخليفة بفرس وجارية وضيعة .

فاول ما طلب الشارع الاسلام. والاسلام بمعنى السلامة والاستسلام للخالق الواحد القهار ، وهو من أسهل وأخف ما يكون على النفس البشرية، ما دامت على فطرتها لان من الفطرة التي فطر الله الناس عليها الافتقار الى موجد والى مخصص والى ملجأ .

وزد على هذا ان الاسلام لم يكلف شيئا في مقابلة ما طلبه، بل هو مجانا، حتى اجر الرسالة . ثم وعد من آمن أن يؤتيه اجره « وان تومنوا وتتقوا يوتيكم أجوركم ولا يسالكم اموالكم » . فتأمل الباب الذي طرقه الاسلام أولا .

ثم بعد أن حبب اليهم الايمان وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان ونهاهم عن البغي والرياء والكبر، وعن العدوان والظنون الفاسدة والفخفخة الفارغة والتجسس والغيبة، نبههم تعالى أننا سواء في حقيقة الانسانية بانه خلقنا من نفس واحدة من ذكر وأنثى، وجعلنا شعوبا وقبائل للتعارف والتآلف

لا للتخالف . وهو بمثابة التقسيم اليوم في المدن العظام كلندرة وباريز ، قسم كذا وقسم كذا ، ليسهل التناول والتعارف . وهو نظام فقط ، اذ لا مزية لاهل قسم كذا على قسم كذا لا للتفاخر والتنافر كقولهم هذا عربي فاضل وذلك عجمي مفضول أو العكس .

وقد نهى عنه الاسلام كتابا وسنة ، أما الكتاب فقوله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، واما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام : « ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى » .

وبعد هذه التخلية كلها أراد الشارع ان يلبسنا لباس التقوى والمساواة، فاوردنا الى الاشتراكية من غير شعور منا فرضيناها بفرح وسرور ، فقال : « انما المومنون اخوة » .

فانت تعلم أيها الاخ الوطني ما يترتب على الاخوة من المقاسمة ، وغير ذلك من الحقوق والواجبات .

وتضمن هذاالذي ذكرناه كله، عدة ءايات في سورة الحجرات ، أي جاء صريحا من الله تعالى ، فقال عز من قائل : « واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هذ الراشدون. فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ، وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي بغت ، حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين. انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم ، يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم . إن الله عليم خبير » .

وقد قيل عنالسلف : الفرضانه لم يكنفي صدر الاسلام، بل كان العطاء فقط مع تحريم الزبا وتشديد العقوبة على آكله وشاهده وكاتبه ، ومع فرضية الزكاة، فتمت التخلية والتحلية، فصار كل مسلم مع اخوانه المسلمين على حد ما ذكر **الشيخ خليل** صاحب المختصر في الفقه المالكي ، في باب الفرائض عن الجد مع الاخوة ، فقال : « وله مع الاخوة الاشقاء والاخوات أو الاب الخير من الثلث أو المقاسمة .

فليقل لي الآن من مال الى الاشتراكية من المسلمين : اي الاشتراكيتين أصوب ، وأي الحزبين احظى وأنجب ؟ لحزب اسس على التقوى من اول يوم احق ان تتبعوه وتعملوا عملا لبيان وحيه وتسألوا عن اسراره ومواضيعه وثمراته وحدوده وغاياته فتجدوا أن كل الصيد في جوف الفرا ، ولانه قد اسس على تقوى من الله ورضوان ، وهو خير من جميع ما اسسه العبد كائنا من كان .

هذا ولا يتبادر اني اسيء الظن بالاشتراكيين، كلا، بل كل قصدي الفات كثير من الشبان المسلمين المتفرنجين ، وتذكيرهم والذكرى تنفع المومنين، والا فان الاشتراكية من أخلص ما انتجته اوربا من العمل في سبيل مواساة الانسانية ، ولا ينكر فضلهم الا من لا يسمع ولا يبصر ، ولا يعرف من الحق شيئا ، وان قصدهم مواساة الانسانية لمبرور ، وسعيهم لمشكور ، ولو لم يكن من الخصال المحمودة لرجال الاشتراكية وحزبهم ذى مبدأ المساواة بمعناها الحقيقي سوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبغض الخيلاء والكبر ، والسفسطة والجور والبغي والرياء والحسد والبغض وانكار الربا والاحتكار والشح والتبذير والبخل والتعدى على الغير ، وحب الفقراء والمساكين من بني الانسان من غير مراعاة جنسية ووطنية ، لكفى ذلك ان يحمدوا به ، ويشكروا عليه . » انتهى الغرض منه .

فشدوا اخواني يد الضنين على دينكم القويم فهو لخيري الدنيا والآخرة الصراط المستقيم ، ولتعلموا ان عيبنا الكبير معشر المسلمين هو أخذنا بالقشور منه دون اللباب وعدم نفوذنا للمرامي السامية عند اولى الالباب ، واهمالنا للعمل بكتابه ، وغرر حكمه وآدابه .

ولقد كان من الواجب على علمائنا الاعتناء بشرح فلسفة الدين وتبيين حكمه واسراره للعامة أتم تبيين : في دروس ليلية على الخصوص ولا سيما في التفسير والحديث . حتى تتنور الافكار ويتميز للعوام الطيب من الخبيث، ويدعونا من بدع ومنكرات يرتكبونها (على) مرأى ومسمع من علماء الاسلام وحاملي شريعته عليه الصلاة والسلام . فيظنها الارباويون من الدين وليست منه في شيء فيعيبوننا بها ، والحق معهم ، ويعيبون ديننا من أجلها والعذر لهم ، فتهشيم الراس مثلا ما انزل الله به من سلطان ، واكل الدم المسفوح حرام بنص القرآن. وامثال ما أشرنا اليه كثيرة لا نطيل بها، يستند فاعلوها الى صدورها من بعض أرباب الفضل والصلاح، وما دروا انها صدرت منهم عند غلبة حال عليهم غابوا فيها عن الشعور ، وكانوا وحدهم معذورين في ذلك الصدور .

ولم لم يقتدوا بهم فيما كانوا عليه من المحافظة التامة على اداء

الصلوات مثلا في أوقاتها ، والرباء بالنفس عن سفاسف الامور ، والجنوح بها الى معاليها ، مع ان هذا هو الذي ينبغي الاقتداء به ، اذ هو الذي نبهت عليه الشريعة أي تنبيه .

واننا لا نرى وسيلة الطف وانجع في ردع العامة عن ذلك، من اعتناء قادة الافكار من مدرسين وخطباء ووعاظ وكتاب بشرح حقائق الديانة للعامة ، ونزاهتها عن كل ما يقدح في المروءة وينافي مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب على النمط البديع الذي عليه شيخ الجماعة، ووزير المعارف الجليلة، سيدي أبو شعيب في تدريسه حتى تتكيف النفوس بذلك فترتدع من نفسها ، وترجع للطيف حسها ، وبالله التوفيق ، والهداية الى سواء الطريق .

العلم

هو العلم ، لا شيء كالعلم تراوده لقد فاز باغيه وانجح قاصده (4)

فضائل العلم أشهر من نار على علم ، والوارد فيه من الكتاب والسنة وأقوال الحكماء لا يحيط به القلم ، ويكفي منه قوله تعالى في كتابه المكنون : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . »

ثم هو أجناس : **أحدها** : العلم الشرعي وتحته أقسام : التفسير ، والحديث ، والتوحيد ، والفقه ، والتصوف . **وثانيها** العلم الآلي ، وتحته أقسام علوم العربية الاثنا عشر المجموعة في قول الشيخ حسن العطار :

نحو وصرف وعروض وبعده لغة ثم اشتقاق وقرض الشعر، انشاء
ثم المعاني، بيان الخط، قافية تاريخ هذا لعلم العرب احصاء

وأصول الفقه، واصطلاح الحديث، وعلم القراءات، وغير ذلك، **وثالثها** العلم الالهي وهو علم الفلسفة الاولى المقصود بها تكميل النفس الناطقة ، والاطلاع على حقائق الاشياء بقدر الطاقة البشرية ، ومنه المنطق الخاص الذي جعل آلة للتوحيد وغيره .

ورابعها : العلم الطبيعي وتحته اقسام : الطب، التشريح، البيطرة، والفلاحة ، والاحكام النجومية، والفراسة الحكمية . وغير ذلك ...

وخامسها : العلم الرياضي وتحته أقسام : العدد والهندسة والهيئة والموسيقى .

وسادسها : العلم الاستعماري، وتحته أقسام: الجغرافية باقسامها الخمسة التي يرجع غالبها الى علوم سابقة ، وعلم الحقوق الذي يرجع الى التاريخ وحفظ المعاهدات وشرائع الامم وغير ذلك .

وللعلوم تقسيمات أخرى لا نطيل بها ، كما أن عدة علوم قديمة قد

فرعت وجعلت أقساما كالعدد فمنه الجبر ، والمقابلة وغيرهما ، وكما ان عدة حرف وصنائع كالتجارة والملاحة وأمور رياضية كالرماية وبقية الفنون العسكرية قد اعتنى بها المهرة فيها وجعلوا لها قواعد منضبطة وأصولا جارية بما صيرها من قبيل العلوم .

ولا غرض لنا في هذه العجالة بشرح ذلك كله وانما غرضنا هنا الفات انظار اخواننا المغاربة .

أولا : الى تقصيرنا في كثير من العلوم ، كالتفسير الذي هو كلام الله الذي هو الاصل الاصيل لديننا الحنيف ، والحديث الذي هو كلام خير خلق الله الجامع لجوامع الكلم ونوامع الحكم .

وثانيا الى اهمالنا لكثير منها : كالطب الذي هو علم الابدان والمحتاج اليه في كل الازمان ، وبقية العلوم الطبيعية والرياضية الا النادر مع أنها جميعها قد اعتنى بها علماء الاسلام وألفوا فيها التآليف البديعة، في نفسها وباعتبار وقتها .

قلت في نفسها وباعتبار وقتها لان بعض العلوم السابقة كالطبيعية والرياضية والاستعمارية قد مهر فيه الاورباويون مهارة عجيبة وتفننوا في تحقيقه وتنقيحه تفننا صير ما تقدم فيه لاسلافنا السابقين في طي الاهمال .

ولكن اللوم ليس عليهم في بذلهم مجهودهم بل هم مشكورون أتم الشكر فيه منا ومن الاوروباويين أنفسهم الذين يعتبروفهم أساتذة لهم في كثير منه. وانما اللوم، كل اللوم، علينا معشر خلفهم الذين لم نبال بهم مبالاتهم، فنعني على ما أسسوه وننقحه التنقيح الذي عندنا من وسائله ما لم يكن عندهم .

فلنقبل معشر المغاربة على تعلم سائر العلوم . وليكن لنا في كل واحد منها مقام معلوم ، ولنتبع علومنا الشرعية بتلك العلوم الاخرى المرعية ، ولنكفر سيئة تقصيرنا السابق في حقها بذلك ، ولنكرع من حياضها الدافقة في اقرب المسالك ، فيها سادت الامم وصارت اليوم في الطريق المدني الاقوم.

ولا التفات الى طعن بعض الطاعنين في بعضها. فان العلوم من حيث هي علوم ، لا يمكن ان ينالها الذم بحال . ولما تكلم العلامة **اليوسي** في قانونه على العلوم الفلسفية وذكر منها العلم الالهي والمنطق والحساب والهندسة والسحر أيضا قال :

« ولا بأس بجميعها فنحن لا نلتفت الى من يحرم علم شيء منها ، فان العلم في نفسه هو غذاء العقل ونزهة الروح وصفة الكمال وانما تختلف ثمراته في الشرف حسب الموضوع والغاية. وتختلف الاحكام بحسب النية، حتى ان علم السحر الذي يحرم استعماله باجماع لو تعلمه أحد ليوذي به معصوم الدم

كان تعلمه حراما كعمله، ولو تعلمه بمجرد ان يعرفه، فيميز بينه وبين المعجزة مع ما تقدم من الفوائد كان تعلمه جائزا أو واجبا كما مر . وعلم الادب الذي هو جائز باجماع لو تعلمه أحد لقصد أن ينبغ في الشعر ليهجو من لا يجوز هجوه أو يمدح من لا يجوز مدحه كان تعلمه حراما في حقه. وانما الاعمال بالنيات » .

ولا يتوهم من الحض السابق على تعلم تلك العلوم الطبيعية والرياضية ان الغرض أن تكون هي كل قصد الطالب وأهم قصده بل ان تكون تابعة للعلوم الشرعية التي هي الاساس الاول، والاصل الاصيل الذي عليه للمسلمين المعول. كما لا يتوهم من ذلك انني ارى ادخال تلك العلوم حتى جامعة القرويين. بل انني ارى كما يرى الخيرون من العلماء والرؤساء أن تحفظ حالة القرويين التي عهدت عليها منذ قرون، مع ادخال التنظيمات التي سأشير الى بعضها، بشرط ان لا تمس جوهر الحالة المذكورة التي هي بهجته ورونقه ، ثم تعلم تلك العلوم الاخرى في مدارسها المفتوحة الابواب لراغبيها المسيس الحاجة اليها في هذا العصر الحالي، مع نفعها في كثير من العلوم الشرعية أيضا. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ثم ان التعليم عندنا من أهم أسباب تأخر العلم فيه :

أولا : من عدم تنظيمه كما ينبغي. فترى الطالب المبتدىء يدخل المسجد لقراءة النحو مثلا فنجد المدرس يدرس الالفية بالمكودي ، والواضح ، وربما كان في أواخرها فيجلس أمامه وهو الى الاجرومية أحوج ، وحيث يكون بصدد الطلب ويريد عمارة اليوم به فيذهب في وقت آخر لمدرس آخر فيجده يقرىء مختصر خليل بشرحي الخرشي والزرقاني وحاشيتي البناني والرهوني ، وربما في البيوع أو الاجارة. فيجلس أمامه بحكم الاضطرار، وهو الى المرشد المعين أو العشماوية أحوج ، وهكذا يقرأ الطلبة بلا ترتيب ولا تدريج فلا ينتج واحد في المائة .

وثانيا : من عدم مراعاة بعض المدرسين لحال طلبتهم فتراه يتشدق بجلب الانفال الغريبة أو يمضي الوقت في المناقشات اللفظية ، والاحتمالات ونحوها . ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون أئمة في هذه الصناعة فكان العقلية ، والحال أن الطلبة أمامه غير مستعدين لذلك .

مع أن الذي ينبغي في التدريس العام مطلقا هو ما أشار اليه بعضهم بقوله :

« حد الاقراء ، تصحيح المتن وحل المشكل ، والزيادة على هذا ضررها بالمتعلم أكثر من نفعها ، وقال آخر : « رياء وسمعة » .

وقلنا : في التدريس العام. لان الخاص له حكمه الخاص. وقد قال عليه

الصلاة والسلام فيما رفعه الديلمي عن علي وهو في البخاري موقوف عليه : « حدثوا الناس بما يعرفون الحديث » أي بما يفهمونه وتدركه عقولهم ، وأخرج الطبراني في الكبير بسند حسن عن ثوبان رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « سيكون في أمتي أقوام يتعاطى فقهاؤهم عضل المسائل أولئك شرار أمتي » . قال العزيز : « فخيارهم من يستعمل سهولة الالقاء بنصح وتلطف، ومزيد تبيان، ولا يفجأ الطالب بالصعاب » . قلت : وفي البخاري : « ويقال الرباني : الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره .. »

وثالثا : من اهتبال غالب مدرسينا، هداهم الله، بالحفظ والالقاء دون الفهم والتفهيم مع أن المقصود من التعليم انما هو حصول صورة الشيء في عقل المتعلم ، فلا بد للمتعلم من أن يبرهن لمعلمه على ذلك الحصول حتى اذا لم يكن فلا بد للمعلم من ان يكرر الالقاء بتعبير أوضح حتى يحصل المقصود وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه . رواه البخاري وغيره .

وقد رأينا أن نموذج التعليم بالشرق هكذا تفهم وتفهيم . فنرى التلامذة محيطين بالشيخ، وهو كواحد منهم، هذا يستوضحه المسألة، وهذا يستشكل لفظة والشيخ يجيب والكتاب بين يديه يبرهن على عدم التكلف في الحفظ والتصنع في التدريس .

فينبغي لنا معشر المغاربة ان نسهل للعلم أسبابه ، ونفتح للتعليم الصحيح أبوابه .

ولنا الامل الوطيد في وزارة المعارف الجليلة أن تعير تنظيم التعليم جانبا، وتتم قاعدة نيل كل مدرس ما يستحقه بطريق الاهلية والوصف، رتبة وراتبا ، فذلك مما ينشط أعظم تنشيط في هذا المقام وعلى الله بلوغ المرام .

الفلاحة

علم يعرف به كيفية تدبير النبات ، وتنميته الى ان يكمل .

وقد ألف فيه علماؤنا السابقون : كالشيخ رضى الدين الغزي صاحب كتاب « جامع فوائد الملاحة في علم الفلاحة » والشيخ عبد الغني النابلسي صاحب كتاب « علم الملاحة في علم الفلاحة »، وهذا مطبوع، وقد ذكرنا الفلاحة في سبب العلم من أنواع العلم الطبيعي الذي هو العلم الباحث عن الجسم المادي من حيث ما يعرض له من التغير والانفعال والثبات . وجعلناه هنا سببا خاصا من أسباب الرقي الحقيقي لاخواننا المغاربة لقصد التنويه به . والتنبيه على عظم أهميته في زمنهم حيث أن المغرب أرض فلاحية قبل كل شيء صالحة ، على الجملة ، لانواع الفلاحة من بذر الحبوب، وغرس الاشجار،

وجعل الخضر ما يوجد الآن، وما لا يوجد، بما جمع الله فيه من طيب التربة وجودة الهواء واعتدال الحرارة وكثرة الاودية والعيون زيادة على مياه المطر التي تجعل الزراعة الكبرى في غنى عن غيرها غالبا ، ولذا جعل فقهاؤنا رحمهم الله ارض المغرب من الارض المأمونة . قلنا على الجملة ، لانها على التفصيل تصلح في بعض الاماكن للحبوب خصوصا ، وفي أخرى للاشجار خصوصا، وفي بعضها لنوع كذا دون نوع كذا ، وهذا ما يفيده علم الفلاحة الذي كاد أن يندثر عندنا بالمغرب أو نقول اندثر الا ما بقي في رؤوس أفراد من الفلاحة لا يفي بالغرض المقصود .

فعلينا معشر المغاربة، وخصوصا ذوي اليسار والثروة منا ، بأحياء الفلاحة علما وعملا، ومد يد المساعدة لكل بصير بها قصير اليد فيها ، فبها ثروة البلاد ، وغبطتها ورفاهيتها اذ ترخص المعيشة أولا . ويفضل ثانيا عن حاجة البلاد ما هو الكثير الاثير الذي ينقل الى الخارج ببدل جليل هو اصل الثروة وغبطة البلاد والعباد .

سيما ما صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم من الترغيب فيها كحديث الامام احمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي عن انس رضي الله عنه ، عنه عليه الصلاة والسلام : ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منها طير أو انسان أو بهيمة الا كان له صدقة » وحديث البزار وغيره عن انس ايضا، عنه عليه الصلاة والسلام « سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا او غرس نخلا او بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته » . وقوله : نخلا، تمثيل فقط، يمثله غيره مما يدوم الانتفاع به كما لا يخفى . وقد حكى البرزلي عن أشياخه خلافا في الافضل، هل الغراسة لدوام نفعها، أو الحراثة لكثرة نفعها؟ فلكل وجه، وهذا في أرض تصلح للامرين على السواء . والا فكل أفضل في المحل الأليق به .

ثم اننا قدمنا في سبب العلم ان الاوربايين مهروا في بعض العلوم كالطبيعية التي منها الفلاحة مهارة عجيبة صيرت ما تقدم فيها لاسلافنا السابقين في طي الاهمال. فعلينا ان نقتبس من معارفهم في هذا الباب ما نتخذه سببا من أمتن الاسباب ولاسيما وقد رأينا بعض المعمرين منهم بمغربنا ينتجون النتائج الباهرة والارض هي الارض. وانما السبب الاصلي هو العلم كما جربنا معلوماتهم في زبر الاشجار والدالية ، ورش الاخيرة ببعض المركبات الكثيرة الوجود، تقوية لها، واتقاء من طواريء كانت تذهب بمجهودات الناس، وهكذا فكل نبات له عوارض وأمراض خصوصية ووقايات وادوية كذلك خصوصية انتجها العلم والتجربة . كما رأينا ايضا فائدة بعض الآلات الاوربايوية كالمحاريث التي تشق الأرض الشق التام فينقلع ما يكون بها من

عروق مضرة ويجد ما يوضع فيها ارضا متخلخلة يمتد فيها وفق قوته . ما علينا أيضا اذا استعملنا جميع ما افاده العلم والتجربة حتى تحصل النتيجة المرغوبة ، وما اسعد المغرب يوم تؤسس فيه مدارس فلاحية ابتدائية ، لولا ، يتخرج منها تلامذة مهذبون يبثون معلوماتهم في وطنهم العزيز .

نعم من رأينا انه ينبغي قبل ذلك لادارة الفلاحة الحالية، المشكورة على اعمالها الجليلة مواصلة ما ابتدأت به في بعض البلدان من ارسال بعض رجالها لارشاد الفلاحة الوطنيين الى أمور سهلة العمل عظيمة الاثر كزبر الدالية الزبر المفيد ، ورشها بمركب الكبريت والجير، والحجرة الزرقاء ، مع انتظار النتيجة حتى يشاهدوا (6) الفرق بين العملين القديم والحديث وهكذا في كل بلد وقبيلة تقع ارشادات مثل ذلك سواء في الجرائات أو الغروس ، وتنتظر النتيجة حتى تحصل فتسعد الناس بذلك ، ولاسيما ابناء الفلاحة ، للاقبال على المدارس المشار اليها فيكون العلم أتم والنتيجة أعظم .

وما أسعد المغرب أيضا يوم ينظم الري فيه ، وينتفع كما ينبغي باوديته الكثيرة العذبة التي تنضاف الى البحر المالح باكية بدموع غزار على اضاعة اهلها لها ، وعدم انتفاعهم بها في سقي أراضيهم التي مرت عليها ، مع أنها كانت تجعل مساحة عظيمة على كلتا الضفتين خضراء نضراء من النباتات المختلفة والاشجار الكثة التي تسقيها مياهها كل فصول السنة وكانت تجعل اثر القحط بالمغرب ، كالعنقاء المغرب ، مما كانت ترويه من الحروث بالنظام ، حين تأخر المطر عاما من الاعوام ، فتيل مصر له والحمد لله بالمغرب اخوة موجودة . والامال كبيرة عليها معقودة . فعلى أغنيائنا وذوي الاراضي المجاورة للأودية المذكورة أن يلفتوا نظرهم نحوها ولا يفوتوا ما بايديهم منها الا لضرورة قصوى وللضرورة احكام ، وعلى المحبة والسلام .

التجارة

التجارة تقليب الحاصلات الطبيعية والصناعية للربح أي بيع الفلاح نتيجة كسبه ، والصانع نتيجة صناعته لاجل الربح الذي يكون من وراء ذلك .

وأيضا شراء الشيء رخيصا وبيعه غاليا سواء باحتكاره الى الوقت الذي يرتفع فيه ثمنه أو بنقله من محل رخصه الى محل غلائه أو بدونهما لاجل الربح الموجود في ذلك. هي مهنة جليلة اذا كانت بصدق واخلاص ينفع بها الانسان نفسه أولا ووطنه ثانيا .

وقد اتجر نبينا صلى الله عليه وسلم في مال خديجة بنت خويلد فسافر في ذلك من مكة الى الشام في السنة 28 من مولده عليه السلام فلما ربح

جليل فضاعفته له ما كان الشرط بينهما اولا عليه ثم تزوجته بعد ذلك بنحو ثلاثة اشهر .

وكان سيدنا عبد الرحمن بن عوف، أحد العشرة المبشرين بالجنة، يدعى تاجر الرحمن تشريفا لما رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا « خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله وحمزة أسد الله واسد رسوله وابو عبيدة الجراح أمين الله وأمين رسوله، وحذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمان وعبد الرحمن ابن عوف من تجار الرحمن عز وجل » .

واخرج الترمذي في السنن والحاكم في المستدرك عنه عليه الصلاة والسلام انه قال :

« التاجر الصدوق والامين مع النبيئين والصديقين والشهداء » : قال العزيز : حسن، وسبب هذه المزية العظيمة، كما أشار اليه المناوي وغيره، ان التاجر المذكور بعد نفع نفسه ، يسرى نفعه لعموم الناس . وظيفة نفع العموم . هي وظيفة النبيئين أي المرسلين ومن ذكر معهم كما هو معلوم .

ثم ان التجارة، ولاسيما في العصر الحاضر، الذي كثرت فيه المزاحمات فيها ككثرة وسائلها وتسهيلاتها البرية والبحرية تقتضي خبرة زائدة وتمييز الازمنة والامكنة الموافقتين من غيرهما وضبطا كبيرا للرغبات والاذواق حتى اذا اقدم الانسان على التجارة في شيء اقدم على بينة وبصيرة من أمره .

ولست اعني بهذا تبرير الحال الذي رأينا عليه غالب تجارنا في هذه الاعوام من الخمود وعدم الاقدام على الاتجار في امور اشتدت حاجة اهل وطنهم اليها مع ان الوقت كان ولا زال فرصة ثمينة لهم :

اولا : من عدم المزاحمين لهم .

وثانيا من مساعدة الحكومة الحامية لهم المساعدة التي لا يحلمون بها في غير هذا الوقت وبها كانوا يحلون محل نواب الدور التجارية الكبرى ويستغنون عن تلك الوسائط التي كانت تتلاعب بهم كيف شاءت . فان منشأ هذه الحال غير ما قدمنا بل منشاها بعض الاوهام التي لا عبرة بها في هذا الباب . فالظن فيه ولا سيما القريب من اليقين هو ملحظ أولى الالباب . وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما عزاه السيوطي للقضاعي وقال العزيز انه حسن « التاجر الجبان محروم والتاجر الجسور مرزوق » .

وهذا أمر مشاهد بالعيان . فكم رأينا من اناس جبنوا وجمدوا منتظرين ان يأتيهم الربح بدون أخذ في أسبابه ، فلم يكن حظهم الا وقوف حركتهم اولا وتراجع امرهم ثانيا . فان الشيء الذي لا يزيد ينقص . وكم رأينا من آخذين اقدموا على المشكوكات ولا تقول المظنونات ، وأخذوا في الاسباب ولم يثنهم عن عزمهم ما صادفوه في طريقه من العثرات أولا وثانيا فكان حظهم الوصول

الى ما فوق غرضهم، وانفتاح ابواب الربح ، والنماء في وجوههم ، وذلك جزاء جدهم واجتهادهم .

فانتهزوا اخواني ذوي اليسار من التجار الفرصة ، قبل أن تصير غصة . وزوروا دائما المعارض العمومية ، والاسواق الجامعة البهية ، باحثين منقبين ، والمتاحف التجارية المفتحة الابواب بكل ناحية مرشدين ومسترشدين ، واعرضوا الصنائع الوطنية . المرغوب فيها بالداخلية او بالخارجية . بعقد الشركات مع صناعها الفقراء الماهرين . تنفعوا انفسكم ، وترحموا جنسكم . وتضعوا عن عواتقكم المسؤولية الكبرى في اعلاء شان وطنكم أمام الله وامام الناس أجمعين .

هما اثنان مسؤولان مثر وعالم وليس بمسؤول جهول ومعدم (7)

الصناعة

الصناعة ملكة في امر عملي فكري .

فبكونه عمليا علم انها متعلقة بجسماني محسوس، وبكونه فكريا أيضا، علم ان للفكر دخلا اي دخل فيه . ولهذا امكن في بعض الصنائع ان تجعل من قبيل العلوم ، كما اشرنا اليه من سبب العلم ، وكانت بعض الصنائع محتاجة الى أشياء من علم الهندسة ، كصناعة البناء المحتاجة في تسوية الحيطان الى الوزن ، وفي اجراء المياه الى اخذ الارتفاع وفي جر الاثقال ورفعها الى الهندام (8) قال ابن خلدون : « وبهذا كان بناء الهياكل الماثلة لهذا العهد التي يحسب الناس انها من بناء أقوام كانت أبدانهم على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك ، وانما تم لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه »

وكالتجارة المحتاجة الى أصل كبير من الهندسة في تناسب المقادير ونحوها. ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون، أئمة في هذه الصناعة، فكان أوقليدس صاحب كتاب (الاصول) في الهندسة نجارا وكذلك ابلونيوس صاحب كتاب (المخروطات) و (ميلاوش) وغيرهم. كما ذكره ابن خلدون أيضا .

فالصناعة ولا شك مهنة جليلة ينفع بها الانسان نفسه ووطنه ويحبه الله بها لذلك. قال عليه الصلاة والسلام فيما جعل الشيخ دده في (محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر) حديثا صحيحا : « ان الله يحب العبد المحترف» (9)

واخرج الإمام أحمد في المسند بسند حسن عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « خير الكسب يد العامل اذا صنع » .

واذا كان للفكر في صناعة دخل عظيم فكان المصنوع في غاية اللطف والتناسب والاتقان كانت مزية وشرفا لصاحبها لدلالة ذلك على كمال عقله

ومزيد خبرته ، ولذلك كان اعاظم من الرجال ارباب صناعات كما سمينا ونسمي .

كان سيدنا ادريس عليه السلام أيضا نجارا . وكان سيدنا داوود عليه السلام حدادا . قال الله تعالى في حقه : « والنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد » (10) ، وقال أيضا فيه « وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم » .

وكان طالوت المذكور في القرآن قبل ملكه دباغا .. وكان لقمان الحكيم المنوه به ايضا في القرآن خياطا . وأول من خاط سيدنا ادريس عليه السلام، الى غيرهم من خيرة الخلق ونخبة البشر : هذا في العصر القديم .

وكذا في العصر الجديد، فكم من ملك وقيصر ورئيس تعنو الامم لجلاله يوصف تشريفا بانه نجار او كذا ، بل منهم من يشغل وقتا نفيسا من اوقاته في صناعته في أيام ولايته :

ثم ان الصناعات الحاجية والكمالية شيء لا يناله الحصر . ولا غرض لنا هنا الا بذكر بعض الصناعات المغربية الحالية والفات انظار أربابها وغيرهم اليها فنقول :

توجد بالمغرب ، مع عدم بلوغه مبلغا عظيما في الحضارة المستلزمة لكثرة الصنائع وبلوغها ذروة الكمال ، عدة صنائع لا يستهان بها كصناعة البناء وفروعه من نقش الحجر وتخريمه بسلا خصوصا ، وتسطير الجبس وتزويقه ، بفاس ومكناس خصوصا .

وصناعة النجارة بغير ما بلد ولاسيما نمط الخرط في موائد ومكاتب ومحامل للكتب وغيرها بسلا خصوصا ، ونمط عيدان الطرب ، وترصيع الموائد وغيرها بالصويرة خصوصا .

وصناعة الزرابي بالرباط والدار البيضاء وقبيلتي كلاوة وأولاد بن السبع خصوصا . وصناعة الحنابل والحصر بسلا خصوصا . وصناعات الزليج وتنجيم الثياب الحريرية الرفيعة، والحزم الحريرية الذهبية ، وتجليد الكتب، والاواني الفخارية المزججة بفاس خصوصا .

وصناعة تسطير الالواح وتزويقه بالذهب والواح الصبغ بفاس ومكناس ومراكش خصوصا .

وصناعة جعل الجلد أشكالا عديدة وانماطا متنوعة بمراكش خصوصا ، وصناعة رقم الجلد بالحرير والذهب في سروج وملحق وكمال للنساء وغير ذلك بفاس وسلا ومراكش خصوصا ، وصناعة رقم الثياب بالحرير بفاس وسلا والرباط خصوصا ، وصناعة الحلي بمسوس والصويرة وفاس خصوصا ، وصناعة جعل الفلس والصفر أواني متعددة ومواعين مختلفة بفاس ومراكش

وتاروودانت خصوصا .

وصناعة جعل الفخار أواني وغيرها في غاية اللطافة بآسفي خصوصا الى غير ذلك من صنائع مهمة بتلك المدن وغيرها لا نطيل بها وفي كل بلد منها.

وقد اهتمت الحكومة الحامية بالصنائع المذكورة، فنصبت ادارة خصوصية لها تأخذ بضبعيها. وبالفعل شرعت في انتشال بعضها من وهدة السقوط وهوة الاضمحلال وفتحت بعض مدارس ودكاكين لبعضها

والرجاء مثابرتها على ذلك العمل الذي يذكر فيشكر ، فيعرف خيره ولا ينكـر .

ونرى أن من الواجب أيضا على اخواننا أرباب الصنائع المذكورة وغيرها أولا أن يبذلوا جهدهم في تلطيف صنائعهم مع المحافظة التامة على الذوق المغربي فيها وعدم مزجه بشيء من غيره أصلا .

وثانيا أن يخفضوا الثمن الى الدرجة الممكنة ويقنعوا بالربح اليسير ، والقليل في الكثير كثير .

فبمجموع الامرين تروج مصنوعاتهم ويحصل الاقبال الكثيـر عليهـا سيما من الاجنبي المشغوف بصنائع غيره حيث يرى فيها من اللطف والأتقان مع كونها يدوية محضة او كالمحضة ، بما أن آلاتها في غاية البساطة، ولا علم عند صانعها كعلمه ، فاذا رأى فيها اضافة اجنبية او رأى ثمنهـا باهضـا رفضها رفضا واكتفى بالمصنوعات الاجنبية المحضة التي تحيـر الافكـار بطليف صنعها، وبديع اتقانه مع رخص ثمنها، لكثرتها بكثرة آلاتها الدقيقة وسرعة عملهـا .

ورجاؤنا مع ذلك أن تحل الزرابي الرباطية مثلا محل الزرابي الفارسية باوروبا والحصر السلاوية محل الحصر الصينية . وهكذا فتحيى الصناعات ويكون للمغرب وأهله منها ربح كثير وسمعة طيبة .

واننا، بكل أسف، نرى وطنيينا مهملين كثيرا من المصنوعات الوطنية المليحة والمتينة ومقبلين على أخرى أجنبية ذات بهرجة زائلة .

مثلا : الزرابي من الامور المؤكدة عندنا في زينة البيوت فلم نقبل على الطرز الاجنبي وندع النمط المغربي مع انه لو لم يكن في ذلـك الا احيـاء الصناعة الوطنية وتعيش أهلها من وراثها لكان كافيا . كيف والذوق المغربي لا بأس به والصوف صافية والصيغة غير زائلة ؟ وفق الله الجميع بجـاه النبي الشفيع .

علـم وليـدك اولا مـا يجتنـــى ... ثم اجتهد بعـد القـراءة والكتـــا
منه الكياسة والنبالـة والشـرف ... بة أن يزاول متقنا بعض الحرف(11)

الاقتصاد

الاقتصاد : افتعال من القصد في الامور أي التوسط فيها وعدم سلوك طرفي التفريط والافراط .

والامور الاقتصادية في اصطلاح أهل الجغرافية وغيرهم من المتأخرين هي الامور التي يدخلها القصد المذكور ويمكن ان يشفع بالفاضل منها سواء بالداخلية أو بالخارجية من نتائج فلاحة أو كسب أو صناعة أو عمل .. قال الله تعالى في وصف عباد الرحمان :

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (أي وسطا) . وقال : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك (كناية عن الشح والتقتير) ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما (على الاول) محسورا » . (في الثاني من حسره السفر اذا بلغ منه وأثر فيه ، قال المفسرون : بما لا يعقبه ذلك لا يشمله النهي المذكور. وهو مجمل ما ورد عن بعض الصحابة وغيرهم من بذل الكل وبسط اليد كل البسط ولكن في سبيل الله وأعمال البر والخير لوجه الله) وقال أجل من قائل :

(ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا) . وقال عليه الصلاة والسلام : « التدبير نصف العيش ، والتودد نصف العقل ، والهم نصف الهرم . وقلة العيال احد اليسارين » رواه الديلمي في مسند الفردوس، والقضاعي باسناد حسن . كما قال العزيزي، وقال أيضا : فيما رواه الامام أحمد في المسند . وقال العلقمي بجانبه علامة الحسن .

ما عال من اقتصد : أي ما افتقر من انفق قصدا دون اسراف ولا اقتار من عال يعيل . ومنه « وان خفتم عيلة » أي فقرا وحاجة .

وقال الشاعر : كلا طرفي قصد الامور ذميم .

حذا بي لجعل الاقتصاد المذكور أصلا من اصول اسباب الرقي الحقيقي لاخواني المغاربة ما هم عليه في كثير من احوالهم من مناقضة ذلك الاصل واسرافهم في أمور هم بغنى عنها ، وتكلفهم في تحصيلها عرق القربة فتكون عاقبتهم فراغ اليد وحصول العسر، وضيق المعيشة . فعلينا ان نقتصد في كل أمر يمكن فيه الاقتصاد ونصرف ما عسى أن يفضل بسببه في أمور تنفع في المعاش او في المعاد .

ولا داعي للتطويل بسرد ما يمكن فيه ذلك .. مع انه لا يخفى على كل بصير يتدبر في أحواله ، ولكن نذكر لذلك مثالا : أمر شورة البيت في الزواج بسلا وغيرها ، فان والد الزوجة نراه يتفرغ فيه غاية جهده ، ويبذل فيه ما

عسى أن يكون بيده ، بل يبيع اصله وعقاره في سبيل الباس باب البيت العشرة واكثر من الازر الحريرية وغيرها، وكسوة الحيطان وعمارة فضاء البيت وفراغه بمضارب ومساند ومخاد بعضها فوق بعض تحتوي على قناطير من الصوف، وعمارة صناديق للمرأة بالثياب التي، مع فرط ارتفاع ثمنها، لا تمضي عليها السنة والسنتان حتى تصير في خبر كان بل مع الاسف الشديد يعمد ولي اليتيمة الى ملكها، وربما كان الوحيد لها فيبيعه عليها في سبيل الحصول على خرق تفنى بعد يسير من الزمن ولا تسمن ولا تغني من جوع فاذا رماها الدهر بسهم من سهامه كان حظها من البؤس والشقاء ورمي الوسط الذي هي فيه بكل شتم ولائمة .

مع أنه لا حاجة تدعو الى كل ذلك، غير الفخفخة الفارغة والاعجاب الباطل، وأن يقال فلان اخرج في شورة بنته أو وصيته كذا وكذا . وكان الاولى في ذلك الاقتصاد . والاقتصاد على قدر الحاجة ، مع اختيار المتين الذي ينتفع به الانتفاع التام .

وكان الاولى باغنيائنا وذوي الوجاهة منا أن يكونوا للفقراء الذين يتكلفون الاقتداء بهم اسوة في سلوك السبيل الاليق بالعموم .

ثم لمن وسع الله عليه وأراد اتحاف بنته بعد الزواج أن يتخير من الحلى الصحيح والجوهر المليح ونحوهما أثرا جليلا وينتفع به دائما .

فاللهم توفيقا لمن اشرنا اليهم من ذوي الشأن : حتى يسنوا تلك السنة الحسنة فيحمدوا عليها مدى الازمان .

الختام

هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا .

فلنمسك عنان القلم عما وراءه وان اتسع له المجال لان يبلغ فيه طلقا، فان كل الصيد في جوف الفرا .

فالتمسوا اخواني الحكمة ولو من غير حكيم ، وتدبروا في تلك النصائح الخالصة ان شاء الله تعالى لوجهه الكريم. فعسى ان يصدق علينا جميعا قوله تعالى (وذكر فان الذكرى ...)

بني الاوطان هبوا من رقاد ... الى العلم المبلغ للرشاد
الى الدين القويم اخ المعالي ... تزاحم فيه أقدام العباد
الى سعي بذي الدنيا لكسب ... بعلم واختبار واجتهاد
فلاح في الفلاحة لاح لكن ... ونهجا في مناهج الاقتصاد
ولا ننس اتجارا واصطناعا ... الى مرقى السعادة بالبلاد

فذي أسبـاب حـق في تـرق ... لكيـلا تسقطـوا بيـن الوهـاد
عليهـا بالنـواجـذ فلتعضـوا ... لكيمـا تبلغـوا أقصـى المـراد
وسيروا في مراقي العز عزمـا ... وجنوا في المعـاش وفي المعـاد

والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله افضل الصلاة وازكى التسليم . وفرغ من تحريرها في ثاني شعبان المبارك من العام المذكور في الديباجة .

احمد بن محمد الصبيحي
لطف الله به وقضى حاجته .

هوامش :

(1) هذا البيت انشده الزمخشري في الكشاف شاهدا على استعمال عبر بالتضعيف وان كان الافصح لغة القرآن من استعماله بالتخفيف . ان كنتم للرؤيا تعبرون . اهـ . المؤلف .

(2) روى ابن عساكر في تاريخه والديلمي في مسنده الفردوس وغيرهما بالفاظ مختلفة متعددة يرتفع الحديث بمجموعها الى درجة الحسن انه صلى الله عليه وسلم قال : « انا واتقياء امتي برءاء من التكلف » . مؤلف .

(3) « وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » وغيرها من الآيات .

(4) « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » . مؤلف .

(5) البيت من قصيدة لابي حيان رحمه الله .

(6) شاهد فلاحة سلا بعد تحرير الرسالة فرقا عظيما بين الدالية المرشوشة بما ذكر اعلاه على يد فلاح من الادارة المذكورة وبين اخرى تركت قصدا بدون الرش المذكور ، واعترفوا بمنفعة ذلك الرش كما اعترفوا باصلحية الزبر الذي اشار به الفلاح المشار اليه وهو قطع القضيب في وسط العقدة حيث انها لفظها تحفظ من دخول الهواء وحرارة الشمس الى القضيب بخلاف القطع بين العقدتين فانه يدخل معه ما ذكر في مجرى الماء الصاعد فتيبس العقدة الموالية او يضعف الخارج منها . ـ المؤلف ـ

(7) البيت من قصيدة لمحمد طلعت المصري الحصري في رحلته الروسية .

(8) في القاموس ما نصه وشيء مهندم مصلح على مقدار وله هندام معرب اندام .

(9) في القاموس ايضا ما نصه : والحرفة بالكسر الطعمة ، والصناعة يرتزق منها ، وكل ما اشتغل الانسان به وضري يسمى صنعة وحرفة لانه ينحرف اليها .

(10) اي أمرناه ان اعمل دروعا واسعة . وهي اللبوس في الآية الاخرى وقدر في نسجها فلا تجعل المسامير دقاقا فتفلت ولا غلاظا فتكسر الحلق كما في التفسير .

(11) هذان البيتان انشدهما صاحب جريدة النضير في روزنامته لسنة 1908 .

التقريظ

الحمد لله يقول محرر الرسالة : لما اتممتها ، قضى الله بالاجتماع مع شيخنا ، شيخ الجماعة وزير المعارف الجليلة سيدي ابي شعيب الدكالي حفظه الله ، فاخبر الكلام الى ان اخبرته بخبرها فابدى تشوقا اليها ، وطلب مطالعتها فارسلتها اليه مع كتاب اقول فيه :

« اما بعد فانتشرف بان اعرض على نظركم السديد ، طبق المذاكرة الشفاهية بالروض السعيد اول نسخة من رسالتي في اصول اسباب الرقي الحقيقي لاخواننا المغاربة ، لتتفضلوا اولا بابداء ما عسى ان تلاحظوه فيها من خطا لتلافيه ولكم مزيد الشكر فيه . وثانيا بابداء رايكم في نشرها للعموم ، هل يحسن ام لا ؟

واختياري بعد صدور اذنكم فيه ، ان يكون في صورة كراسة لطيفة حتى تحفظ كما ينبغي ، فيكون الانتفاع بها ، ان شاء الله تعالى اتم . وان كان نشرها بالجريدة السيارة اعم » .

وبعد ايام رجعها مع جواب يقول فيه ، رعاه الله :

« اما بعد فقد طالعت رسالتكم الغراء ، فوجدتها جامعة مانعة في بابها ، فلله دركم ما اطول طيلكم جزاكم الله افضل الجزاء .

وما رايت ما ينتقد فيها ، بل جميعها يدور في خلد اخيكم » .

وكتب ايضا محبنا الفقيه العلامة الالمعي : نائب وزير العدلية والمعارف سيدي الحاج العربي الناصري السلاوي حفظه الله تعالى قائلا :

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار اسباب ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا الآمر بالتعلم والاكتساب وعلى آله واصحابه المحكمين على اقوالهم وافعالهم السنة والكتاب والتابعين لهم والقائمين بعدهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه الاحتساب . اما بعد فقد وقفني محتسب بلدنا ، حبيبنا وصديقنا الفقيه الاديب البارع ، الاريب المطالع ابو العباس السيد احمد بن محمد الصبيحي حفظه الله على رسالته المسماة باصول اسباب الرقي الحقيقي وبعد مطالعتي لها الفيتها رسالة مطابقة لموضوعها لطيفة في اسلوبها ، جامعة النصح والرشاد باعثة الهمم على ما فيه صلاح البلاد والعباد مبينة اسباب الحصول على ما فيه قوام المعاش ونجاح المعاد ، متضمنة لاهم ما يتعين نشره وتفهيمه وتعليمه . في كل صقع ونـاد ، فجزاه الله تعالى عن وطنه ودينه خيرا . وجعل له في عباده الصالحين الناصحين المخلصين ذكرا . وقد دلت هذه الرسالة ، وان صغر حجمها ، على علو همة صاحبها وغيرته الوطنية ، وشعوره الادبي وباعه العلمي وادراكه للداء العضال السادي في هذه المملكة المغربية العالية الشان والقدر وصاحبة المجد والفخر في الايام الماضية . فوايم الله ان الحر من ابنائها لتاخذه الحيرة والتعجب اذا فكر في ماضيها وحالها ورأى ما هي عليه من الفرق العظيم والبون الشاسع في العلم والاخلاق ، والثروة والهمة . حتى كان هذا الجيل ليس من ذلك القبيل ، ولا من نسل تلك الامة . وما ذلك الا من اهمال العلم واستحكام الجهل وعدم تدبير شؤون التعليم ونشر المعارف التي هي اصل كل مجد تالد وطارف ، ولو اراد الله بهذه الامة خيرا لقيض لها رجالا اكفاء يثيرون الهمم ، ويبينون لهم اسباب الخلاص من هذا الداء الذي انتشر واستحكم ، ويطبقون لهم ما فيه صالحهم معاشا ومعادا على الاصول الصحيحة من الكتاب والسنة يتيقنوا ان ذلك من الدين وليس مغايرا او مباينا له .

على ان هذا لا بد له من آمر مسموع الامر ، مطاع الكلمة له هيبة في القلوب ، ووقع في النفوس ، فلذلك يتعين على جانب مخزننا واعيان علمائنا الاخذ في الاسباب الموصلة لذلك وتنظيم المدارس العلمية واصلاح سير المعارف الاسلامية وادخال جميع العلوم العصرية فيها . وانتخاب مدرسين قائمين بالدروس المفيدة بين متعلميها وعلى العامة حينئذ الاعانة بما يكلفهم المخزن للقيام به للقيام بذلك زيادة على ما يخصص من الاموال من خزينة بيت المال للمعارف كما هو شان الدول الراقية في التمدن والحضارة فهذه الطريق ضرورية لترقية الامم من الانحطاط الى درجة الظهور في مصاف الدول المتمدنة المتهذبة .

كما انه يجب على جميع الناس تاديب اولادهم والزامهم تعمير اوقاتهم بما يعود عليهم من تعاطي علم او صناعة او حرفة يمكنهم بها قوام معاشهم ، وان لا يهملوا امر التعلم في المدارس ، ويتركوا اولادهم يسعون في الازقة بطالين ولكل رذيلة ونقيصة متخلقين .

فعلينا معشر الامة المغربية الا ندع البطالة والكسل والاهمال ، ونشمر على ساعد الجد والاجتهاد في مزاحمة ذوي المعارف من الرجال اصحاب الاعمال ، وان نسعى فيما يرقينا الى مدارج التمدن والحضارة ، ويتعاطى كل واحد ما هو انسب له واوفق من تعلم علم او صنعة او تجارة. فكل ميسر لما خلق له. وإنعلم ان هذا كله من الدين ولا يقوم ويدوم الا به، وان تهاونا في ذلك كنا ساعين في اسباب خرابنا وذهابه .

كما انه يجب علينا العمل بالاقتصاد ، والتدبير للمعيشة في كل اصدار وايراد .

والحاصل ان موضوع هذه الرسالة مهم جدا . يتعين على ارباب الاقلام ، وذوي الفصاحة والبلاغة في الكلام . ان يفيضو فيه ، ويكثروا من اجرائه وذكره ليتنبه الغافلون ، ويعلم الجاهلون ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل . وقيده عبد الله تعالى محمد العربي الناصري لطف الله به .

التقريظ الثالث

وكتب محبنا الفقيه الاديب البارع السيد الحاج الطيب عواد عب ما اطلعه عليها قائلا حفظه الله .

باسم الله الرحمن الرحيم ، حمدا للذي ارشدنا للتمسك بحبل الدين المحمدي المتين ، وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد امام الاولين والآخرين . القائل : من يرد الله به خيرا يفهمه في الدين ، والحاث على طلب العلم فقال : اطلبوا العلم ولو بالصين . على اله واصحابه الهداة المهتدين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد فقد اطلعنا حبنا وصفينا الفقيه الاستاذ الابر ، المحتسب الحسيب الاشهر ، المشارك ابو العباس العزري بذكاء اياس ، على رسالته الغراء ، الجديرة بحسن الثناء وكمال الاطراء ، البديعة الموضوع ، المؤسسة الاصول والفروع ، المسماة باصول اسباب الرقي الحقيقي . حض فيها اهل وطنه على اتخاذ اسبابه ، وبين كيفية الدخول من بابه . وذلك بعد ما قدمها لمن يستحق التقديم فوقعت من الاستحسان فيه بالموقع العظيم . وما هي في الباب. عند ذوي الالباب ، الا الخالص واللباب ، فيض الله تعالى من يعمل بمقتضاها ، ويغتنم ماءها ومرعاها ، في عيشة راضية ، ونعم من الله متوالية .

وبعد ما استوعب الحقير الذي لا يعد في عير ولا نفير ، فروعها واصولها ، وابوابها وفصولها ، قال مع انحراف في مزاجه لا يفرق معه بين عذب الماء واجاجه

لاسباب الرقي بحث امور ... على الدين القويم غدت تدور
مع العلم الذي هو محض نور ... به قلب الموفق يستنير
الى سوق الفلاحة ساق قوما ... وفي باب الفلاح هو المشير
وارشد للتجارة وهي ربح ... نبي الله كان لها يدير
وحض على الصناعة وهي دخر ... لصاحبها المكانة والظهور
وعند الاقتصاد اليوم كنز ... يدوم به لذاتيه السرور
فيا سعد الذي فتحت لمناه ... نصائح من له الاجر الكبير
نصائح من نصوح في زمان ... به قل المعاون والنصير
ابو العباس احمد ذو احتساب ... ومن هو في سلا العبر الخبير
لقد رفع الستارة عن اصول ... لاسباب الرقي لنا تشير
فحيينا الرسالة عن صفاء ... وجلت ان يكون لها نظير
وجاءت منه ترفل في رشاد ... تسر به الاواسط والصدور
ادارت به المعاقل كاس راح ... ولكن لا يقاومه الكبير
حليف السود فاعذر ذا قصور ... وسامح من له الباع القصير
ودمت اخ اقتصاد في اعتدال ... وارزاق تغور ولا تغور

وكتب ايضا الكاتب اللوذعي سيدي عبد الحفيظ الفاسي حفظه الله تعالى قائلا :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

لامن ينازع ان الامة الاسلامية لما كانت متمسكة بدينها القويم آخذة بتعاليم قرانهـــا الكريم ، نابذة للخرافات قالية للاوهام ، متضلعة من العلوم ما بين عمرانية واقتصادية وكونية وسياسية ، مطبقة بقواعدها على تعاليم الشرع الحنيف . بلغت من الرقـــي في كل شـــيء مبلغا ادهش العالم حتى امتد نفوذها وحضارتها الى ما لم تصل اليه امة قبلها كما يشهـــد بهذا التاريخ ، ويشهد به كتابه . وانا حين تركنا كل ذلك واخذنا الا ن الكسل بلغ بنـــا التاخر والانحطاط الى درجة ليس بعدها منتهى حتى اصبحنا عالة على غير وامسينا في نظـر المصلحين ثلمة في الهيئة الاجتماعية ، وفي نظر الاعزين للدين الاسلامي مثالا للجمود والتعصب الذميم البري، منهما ديننا القويم وانني قد سرحت الطرف في هذه الخميلة ، واجلت طـــرف الفكر في محاسنها الجميلة فوجدتها كفيلة باصول اسباب الرقي الحقيقي جديرة بان ينســـج الكاتب على منوالها لافادتها ونفعها ، واحتياج الامة لمثلها ، عسى ان تنتبه مـن غفلتهـا ، وتنهـض من وهدة سقوطها فتسترجع مجد سلفها ، ولله در مؤلفها : العالم المتفنن الكاتب المتقن ابي العباس السيد احمد بن محمد الصبيحي . فلقد احسن وافاد واجاد في تبيان المراد.

في صفـر الخيـر عـام 1336 ـ 8 ديسمبـر 1917
العبد المستغفر عبد الحفيظ الفاسي
كـان اللـــه لـــه.

شـــؤون فلسطينيـــة

مجلة شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينيـــة وشؤونها المختلفة ، تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

المدير العام : صبري جريس
رئيس التحرير : محمود درويش

المراسلات يبعث بها الى العنوان التالي :

بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات ، راس بيروت) ص. ب. : 1691 ،
بيـــروت لبنـــان

سعر العدد بالمغرب : 9 دراهم